

تعليمية النحو العربي (القواعد النحوية)

أ. محمد شايط

جامعة وهران

ملخص

يعد النحو العربي العمود الفقري للغة العربية بل هو بمنزلة الملح في الطعام ، فلا يمكن لدارس اللغة العربية أن يجهله مهما كان الثمن ' فهو الركيزة التي تقوم عليها علوم العربية ' إلا أن هناك من المتعلمين من يشكو من صعوبة في النحو نفسه و هناك من يرى هذه الصعوبة متمثلة في طرق تعليمه و تعلمه و لكن كل أولئك يزول و يسهل تدريجيا إذا كان المعلم و المتعلم لهذه المادة راغبا في تعليمه و محبا لها حبا جما ' لأنه بما يحسن من تعبيره و كلامه مع غيره و بما يفهم كلام الله عز و جل الذي أنزل بلغة ما تزال حية و ستبقى حية إلى أن يرث الله الأرض و من عليها .

The Arabic Grammar is considered as the most important subject in learning Arabic language, so, both the learner and the teacher of such a language cannot ignore its essential role. "Grammar is than the base of Arabic language sciences». Unfortunately, we find today some of the students and learners complaining about its difficulty and that of its didactic as well. But this obstacle will soon disappear and gradually become easier as soon as both the teacher and the learner of this subject show a real envy towards it. Because, by this way he is going to improve his style as well as his speech with others .Besides, he can be able to grasp the meanings of Qur'an verses easily. This holy book sent by Allah in a lively language that is going to remain forever.

Key words: The Arab Grammar - Arabic- language- learner- basic element -difficulty - teacher- didactics -

تقديم :

كل العلوم بمختلف أنواعها و أشكالها ، بدأت بسيطة بأصولها و اتجاهاتها ، و تنتهي معقدة متعددة الاتجاهات و المذاهب ' فكي تتمثل بالوضع و التكوين ، ثم النشأة و النمو ' الى أن تبلغ النضج و الكمال .

قال ابن الأثير : وكذلك العلوم كلها ، بوضع منها في مبادئ امرها شيء و تسيير ، ثم يزداد بالتدرج الى أن يستكمل اخرها و النحو علم من العلوم ، خضع لظاهرة التطور ، و أصيب بنوع من التحور و التغيير ' فما أبرز اتجاهاته ؟ هل اتبع منحى واحدا ؟ أم تعددت مناجيه ؟ .

قد عرف النحو العربي اتجاهات كثيرة ، نبعت من نظرة كل عالم مستضل فيه . ومن اهم و أبرز هذه الاتجاهات مايلي :

الاول : يرى فيه دراسة أحوال الكلم اعرابا و بناء ' و ترأس هذا الاتجاه سيويه و من جاء بعده ، و يظهر اتجاهه من خلال قوله في الكتاب هذا باب أواخر الكلم من العربية أثبت فيه علامات الاعراب و حركات البناء

الثاني : يرى في النحو طرق تفسير الكلام بالنظر الى ما يعتره من حذف و تقديم و تأخير ... وما مائله من مظاهر ، و يمثل هذا الاتجاه أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه مجاز القرآن و من شواهد اتجاهه ، قوله : ومن الجواز ما جاء لفظه لفظ واحد الذي له جمع منه ووقع معنى هذا الواحد على الجميع .

في قوله تعالى : " يخرجكم طفلا " قال : طفل من موضع أطفال أي دل على الجمع ، والجواز هنا يعن " المعنى والإعراب (3)

أما الثالث فينظر الى النحو نظرة وظيفية ، من حيث تأليف الكلام ، والاشارة الى معاني المواقع النحوية المختلفة وهذا مذهب الامام عبد القادر الجرجاني . وجسد ذلك في نظرية (النظم) قال في ذلك " واعلم ان ليس النظر مالا ان تضع

كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه و أصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تحل بشيء منها " ⁴

وفي موضوع اخر يلخص اتجاهه بقوله " .. لا معنى للنظم غير توحي معاني النحو فيما بين الكلم " ⁵ . من جملة ما ذهب اليه مسألة تقديم الاسم او الفعل في الاستفهام ، وما يؤدي ذلك الى اختلاف في المعنى، قال : " ... ومن أبين شيء في ذلك الاستفهام بالهمزة فان موضوع الكلام على أنك إذا قلت : أفعلت ؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من الاستفهام أن تعلم وجوده، وإذا قلت : أنت فعلت؟ فبدأت بالاسم (أي الضمير الذي ينوب عن اسم) كأنك قلت: أعمر فعل ؟ كان الشك في الفاعل من هو؟ وكان التردد فيه ومما يعلم به ضرورة أنه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم. ⁶

أما الرابع فتولد عن الدرس اللساني الحديث ، ويتمثل في محاولة جمع الدرس النحوي والدرس الصربي فظهر مصطلح قواعد اللغة للدلالة على النحو والصرف مقابل مصطلح النظم الذي يدرس نظام الجملة وكيفية صوغها. ⁷

إلا الاتجاه الغالب في كتب النحو المدرسية هو الاتجاه الاول ، ونظرا لشيوعه أخذ اسم الاعراب ويات درس النحو لدى التلاميذ والطلاب يفهم منه الاعراب ، ولا نبالغ إذا جزمنا أنه اتجاها غلب على درس النحو العربي عامة، منذ زمن بعيد ، قال الزجاجي: "النحو اسم لهذا الجنس من العلم... والإعراب أصله البيان ثم إن النحويين لما رأوا في أواخر الأسماء و الأفعال حركات تدل على المعاني وتبين عليها سموها اعرابا اي بيانا، وكأن البيان بما يكون ... ويسمى النحو إعرابا ، و الإعراب نحو سماعا، لأن الغرض واحد " ⁸ . وجاء في شذور الذهب : "(الإعراب أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الاسم المتمكن والفعل المضارع) ⁹

وعلى هذا قسم (الكاتب) وغيره. فكان باب المرفوعات و المنصوبات والمجزورات. مشكلة النحو والشكوى منه:

ما أصعب هذه اللغة ! أو ما أشكل قواعدها ! كلمة نسمعها من أفواه أبناء العربية و غيرهم، ولو أعدلوا لقالوا ما أعظم الطرائق والوسائل المستخدمة في تعليم وتدریس هذه اللغة التي تعد بأحق لغة سامية سمو السماء على الأرض لأنها - ودون فخر واعتزاز - لغة القرآن وكلام رسوله الشريف، وستبقى حية إلى الأبد ما لم يرفع كلام الله. يقول أحد المستشرقين : " من السهل جدا تعلم أصول العربية ، فقواعدها الصرفية التي تظهر معقدة لأول نظرة هي قياسية ومضبوطة بشكل عجيب لا يكاد يصدق حتى إن صاحب الذهن المتوسط يستطيع تحصيلها في أشهر قليلة .. وبجهد معتدل .. ليس هناك صعوبة في الاشتقاق ، أما النحو فبسيط لا تعقيد فيه مطلقا.. " ¹⁰

وهذا الأستاذ مهدي المخزومي يقول : " إن العربية المحبوبة لغتنا ومعين تراثنا كانت طوال عصورها لسان المتحدث وقلم الكاتب ، وكتاب المؤلف ، وكانت ديوان هذه الأمة اختصر فيه مجدها وحضارتها وثقافتها، ولكنها نكبت بأبنائها. فلم تلق منهم إلا ازورا ، وإلا استهتارا بالإساءة إليها " ¹¹.

ومما سبق يمكن الإشارة إلى أن أهم مشكلة تعرض لدراس العربية هي مشكلة طبيعة القواعد (النحو) كما رسمها النحاة. تلك القواعد التي ثار عليها منذ البداية بعض الشعراء الذين كرهوا أن يقيدوا كلامهم بقواعد لم يعودوها. وما قصة (الفرزدق) مع بعض النحاة ببعيدة عنا. أضف إلى ذلك أن النحاة في العصور الأولى وضعوا القواعد العربية مستنبطة من كلام العرب وأدبهم وشعورهم تقويما للسان وإبعاد الذوق الأدبي عن الانحراف بعد أن فشلت العامية بين الناس وفشى كذلك بينهم اللحن ، ولكن

علم النحو فسد بالصنعة لما دخله من الفلسفة والمنطق فأصبح النحو بذلك غاية لا وسيلة تتخذ لتقويم اللسان على تصحيح النطق من ميله إلى العامية .12

ومن كتاب القرن الماضي الذين أبرزوا صعوبة النحو و مشاكله ،الكاتبة (بنت الشاطيء) إذ تقول : " يبدو أن عقدة الأزمة ليست في اللغة ذاتها وإنما هي في كوننا نتعلم العربية قواعد صنعة و إجراءات تلقينية وقوالب صماء نتجرعها تجرعا عميقا بدلا من أن نتعلمها لسان أمة و لغة حياة... كان الخطأ الأول أن الأصل في الإعراب أن يضبط المعاني ويدل عليها لكن النحويين فصلوا النحو عن المعاني ووضعوا بينهما الحدود .. فيحفظ التلميذ و الطالب في الثانوية أو الجامعة قواعد صنعة في المعارف و النكرات أما سر العربية في التعريف و التنكير فلا شأن للصنعة به ". (13)

ولما يزل النحو و تعليمه يمثل إشكاله لغوية تربوية إلى يومنا هذا . قال بها المدرسون في جميع أطوار التدريس وهم يعانون من ضعف تلاميذهم من جهة ، و إعراضهم عنه من جهة أخرى ، يقول أحد المدرسين : " مازلنا نشكو من ضعف الطلبة في اللغة العربية جملة ، و لا يزال معظم الشكوى ينصب على ضعفهم من قواعد اللغة

و إعراضهم عنها بل إن الأمر يمتد إلى ما وراء ذلك ، إذ نجد كثيرا من أبناء العربية الذين تجاوزوا مرحلة التحصيل المدرسي يستشعرون الحاجة الى درس قواعد اللغة من جديد ... يعينهم على تحقيق صحة الأداء في مرافق استعمال اللغة " . (14)

فلاحظ مما سبق أن مشكلة النحو التي عانى منها المدرسون و الدارسون و لا يزالون يعانون منها إلى وقتنا الحاضر ، هي صعوبته نفسه أي أن طبيعة النحو تختزن و تكتنف الصعوبة في نفسها . إذن ، ما الأسباب التي أدت إلى صعوبة النحو ؟ و نفور كثير من أبناء العربية منه ؟ .

و من أبرز هذه الأسباب:

1- صعوبة النحو نفسه كما ذكرنا سابقا ، إذ نتجت من كونه تحليلا منطقيًا فلسفيًا للغة ، (ذكر سابقا) ، أكثر منه علم وصفي قائم على سرد الظواهر ، وصوغ الحقائق في نظريات و لا أوضح وأبين من ذلك من شهادة النحاة ذواتهم في أثناء مناظراتهم مع المناطقة ، بين التوحيدى العلاقة بين المنطق والنحو ، قال : (النحو منطق عربي ، و المنطق نحو عقلي (15) و جل نظر المنطقي في المعاني ... و جل نظر النحوي في الألفاظ ...)

كما ساهمت علوم أخرى كالفلسفة ، اتخذها النحاة أداة ليشبثوا بها قضاياهم في تعقيد النحو و زيادته غموضا و أجمل الخليل بن أحمد العلوم الواجب اتقانها ، لخوض غمار النحو ، بقوله : " لا يصل أحد من علم النحو إلى ما يحتاج إليه حتى يتعلم ما لا يحتاج ، قال أحدهم : إذا كان لا يتوصل إلى ما يحتاج إليه إلا بما لا يحتاج إليه فقد صار مالا يحتاج إليه يحتاج إليه ". (16)

و بذلك يكون المنطق و الفلسفة قد تركا بصما تهما على النحو و تجلّى ذلك في مسألة العامل و المعمول ، كما كان لأثر الرياضيات و بخاصة في قضية القياس و غيرها ، و أثر الفقه في العلل ، وضوح بارز في النحو ... و بهذا كله جعل الطالب العربي يفر منه و يشكو من صعوبته طول الوقت .

أما السبب الثاني فيتمثل في ضخامة مادة النحو ، بحيث تعددت آراء النحاة تجاه المسألة الواحدة ، كما خلط غث مواد النحو بسمينه و المستعمل بالمهجور الموهوم ، ففي كتب التدريس اليوم : نجد تعدد وجه الإعراب لكلمة واحدة فمثلا أعربت لفظة " شيخ " في الآية : " هذا بعلي شيخا " (17) مرة بالنصب على الحال ، وبالرفع على سبعة أوجه ، أحدها أن يكون (هذا) مبتدأ و بعلي بدلا منه و " شيخ " خبرا و الثاني أن يكون (بعلي) عطف بيان و (شيخ) خبرا و السادس أن

يكون (بعلي وشيخ) جميعا خبرا واحدا ، و السابع أن يكون (شيخ) بدلا من بعلي (18).... وفي هذا كله عدت المسألة مسائل و الدرس دروسا والصفحة صفحات ، هل يبقى المعنى واحدا عندما تتغير الوظيفة النحوية في تقدير النحاة ؟ . كما نلمس اليوم أيضا في كتب النحو المخصصة للتدريس كثيرا من المواد لم تعد لها الحاجة في الاستعمال ، ولا تزيد في كفاية تعبير الطالب ، منها - مثلا "كرب" و "حرى" و "اخلولق"

من أخوات (كاد) ، و كذلك الزيادة في شرح علل "الممنوع من الصرف" ، و الإكثار من شروطه و أحكامه على الرغم من أنه لغة أو لهجة ، بدليل جواز صرف الممنوع منه و لا يصح منع المصروف منه ، ويشهد على ذلك أئمة النحو حكي الكسائي أنهم يصرفون كل مالا ينصرف إلا أفعل منك .

وقال الأخفش : "سمعنا من العرب من يصرف هذا (أي سلا سلاو قواريرا) و جميع مالا ينصرف ... " (19)

إلى جانب اعتماد التمارين الافتراضية الوهمية ، التي جيء بها لتمرين الطلاب - على زعمهم - من أمثلة في التراث ، فإذا قيل لك : (ابن من ضرب مثل (جعفر) (20) وهو كلام افتراضي لا يسمن ولا يغني أداء التلميذ من جوع بل يزيده غموضا و تعقيدا .

أما السبب الثالث فهو عسر (صعوبة) طرائق التدريس :

وصف الأستاذ "مارون عبود" تدريس النحو وصفا قال فيه : " وكانوا في ذلك الزمان يعتمدون على الذاكرة ، يحشون عقل الطالب محفوظات لا أول لها ولا آخر ، شعر و نثر و من كل عصر ، و الويل لمن يلحن أو يخرج حرفا أو يخطئ ، في حركة عين المضارع ، فتقلع عينه و تصلم أذنه "

كان المدرس يركز على أن يحفظ متعلمه القضايا الشكلية القائمة على ضبط الكلام ضبطا صحيحا ، مع جهل فائدته ، حتى غدا النحو هدفا بحد ذاته ، يتمثل في جودة الشكل ، وفهم النحو فهما شكليا ، لا منفعة منه سوى ضبط أواخر الألفاظ بالحركة المناسبة ، و بالمنهج المذكور و العلوم لا يقاس إتقانها عن طريق استظهار أحكامها ولكن عبر القدرة على استعمالها و تطبيقها ، و هو ما افتقده الدرس النحوي ، و أكد على ذلك ابن خلدون بقوله : " و هكذا العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل و ليس هو العمل نفسه " 21

وأضف إلى ذلك ، غموض لغة النحاة ، و الإكثار من المصطلحات النحوية التي قد لا يفهمها التلميذ أو الطالب الذي لا يزال في أول تعلمه للنحو ، فلم يعد يفهم حقيقة الحكم و مقصده ، ألفاظ عامية ، و جمل ركيكة ، و تراكيب طويلة يضيع بينها ماء المعنى ... وهكذا دواليك

- سارا المدرسون و الأساتذة على الدرب ... استعمال مصطلحات غامضة ، فلم يفهم دالاتها طالب العربية . منها المستتر ، المقدر ، القرينة ، الثقل ، التعذر ... و خاصة إذا كانت تقدم لتلامذة المتوسط فكثير منهم لا يفرقون بين الحركة المقدر للثقل أو للتعذر ... و خاصة إذا كانت كذلك هذه المصطلحات مجلوبة من العلوم الأخرى ، يقف عائقا أمام تحصيل العلم . قال العلامة ابن خلدون في هذا الصدد : "اعلم أنه بما أضر بالناس في تحصيل العلم و الوقوف على غاياته كثرة التأليف و اختلاف الاصطلاحات في التعليم ، و تعدد طرقها ، ثم مطالبة المتعلم و التلميذ باستحضار ذلك " (22) .

وقد رأى بعض اللغويين المحدثين أن سبب ضعف الطلاب في اللغة العربية و علة انصرافهم عنها تكمن في بعد كتبنا الدراسية عن المفهوم الصحيح لتعليم أي لغة قومية .

ولا يؤدي تعليم اللغة نتائجه الناجمة ما لم تحصل مواءمة بين المعلم والمنهج والكتاب والطريقة ودوافع الدارس للمتعلم إذ يستطيع أن يفهم المسموع و يفهم المقروء و يستطيع التعبير عن نفسه بكلام عربي سليم ، و لذا يمكننا القول إن أي نشاط لغوي سواء أكان نحواً أم غيره ؟ لا يحقق هذه الوظائف قد يصرف الطلاب عن اللغة و يسبب لهم النفور منها .

فلكي يجب طلابنا لغتهم العربية لغة القرآن و الحديث النبوي و لغة الأجداد ، و التي هي إحدى مفاخر أمتهم ، علينا أن نعيد النظر في مناهج اللغة العربية ، وفي إعداد المعلم الكفاء ، و أن يكون الكتاب المدرسي ، مبتعداً كل البعد عن حشو الذهن بالتعاريف و المصطلحات الغامضة و الاقتصار على الأساسيات في كتاب المقرر .

يقول أحد الدارسين : " أخص التيسير في كلمة واحدة ليست مبتكرها - و هي تدريس النحو العملي الضروري الذي يحتاجه الطالب فيما يقول و يقرأ و يكتب ، المرفوعات ، المنصوبات ، المجرورات ... ما يقتضي الكلام إعرابه.. الأفعال الخمسة ، العدد ، إسناد المقصور للضمائر ... أما التوافه من قبل الضمه المقدرة ، وجملة كأن المخففة... فكل ذلك تحريف لا محل له من الإعراب ...

و أنا لا أمتنع هذا على طلاب التخصص ... ولكن ما جريمة هؤلاء الأطفال الذين ندعي السعي في إعدادهم للمواطنة الصالحة؟" (23)

إن هذه دعوة ، لاريب فيها إلى تيسير طرائق تدريس النحو : " لقد أدرك نجاتنا القدامى أن علم النحو واسع متشعب و إن ما يجتمه الناشيء منه هو الضروري الذي يعصم اللسان من الخطأ و يقيه ، فكانت كتبهم التعليمية غاية في السهولة و الوضوح و قد دلت عنواناتها على ذلك فبعضها يدعى "الواضح" وبعضها يسمى "الموجز" و آخر يعرف "بالمقدمة أو الايضاح" و غير ذلك من أسماء تفصح عن منهج مؤلفي هذه الكتب و غايا تهم من تأليفها ، وهي غاية قريبة لا تتجاوز إعطاء الضروري من هذا العلم ،... و أيد الجاحظ طريقة التأليف النحوي للمبتدئين فقال : " وأما النحو فلا تشغل قلب الصبي منه إلا بمقدار ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ، و ما زاد على ذلك فهو مشغلة له " (24)

وعلى المدرس الحديث أن يعنى بما يحتاج إليه الطلاب من القواعد الضرورية ليقوموا ألسنتهم و يتجنبوا الخطأ في تغييرهم و قبل أن يبالغ المدرس في قيمة قواعد اللغة (النحو) و فائدتها أن يتدبر القول المشهور : "النحو في الكلام كالملح في الطعام" و أن يتذكر أن التعبير بلغة صحيحة سليمة عادة لا يكون و لا يحصل إلا بالمران كما يجب علينا - و خاصة نحن مدرسي النحو ودارسيه - أن نعرض على المتعلم كثيراً من الجمل الصحيحة و الشواهد لتكون مقياساً لغيرها و نجعل محاكاة الصحيح مؤكدة مبنية على فهم الأساليب .

إذن ، ما الطرائق العلمية لتدريس القواعد النحوية ؟ أهى طريقة و احدة أم عدة طرائق ؟

- طرائق تدريس النحو قديماً و حديثاً :

الطريقة أحد أركان التعليم : المعلم و المتعلم و الكتاب و طريقة التدريس .

وقد كانت الدعوة إلى تيسير مادة النحو و تهذيبها قديمة ، فقد ألف بعض النحاة القدامى ، كما ذكرنا سابقاً ، كتباً توائم المبتدئين منها كتاب الواضح في النحو ، " لأبي بكر الزبيدي" ، ومنها الوجيز و آخر يدعى "المقدمة" ... الخ

من الكتب التي تعرب عن منهج مؤلفي هذه الكتب بتقديم الضروري من علم النحو .

إن الإنسان يتعلم إن كانت لديه رغبة في التعلم ، و كانت لديه القدرة على التعلم ، وأتيحت له الفرصة ، و قدم إليه الإرشاد كل أولئك لا يجدي نفعاً في التعلم إن لم يكن لدى الإنسان ما يدفعه إلى التعلم (25) هذا ما يخص المتعلم ، أما من

ناحية المعلم فإن التدريس الجيد يعتمد على ذكاء المعلم و حبه لمهنته ، وجوده إعداده لدرسه و لوعيه بأهمية رسالته و خطورتها دور كبير لخلق المناخ اللازم و المناسب لنجاحه في التدريس .
و طريقة التدريس هي أساليب و نشاطات يشترك فيها المعلم (المدرس) و المتعلمون (التلاميذ أو الطلاب) لتحقيق أهداف معينة من تعليم مادة ما .

ومن أبرز الطرائق المستعملة في تعلم النحو و تعليمه مايلي :

1- الطريقة الاستقرائية:

وردت معاجم اللغة العربية الفعل (استقرأ) المزيد بثلاثة أحرف ، بمعنى طلب منه أن يقرأ لأن (الأحرف الثلاثة) المزيدة (ا- س- ت) تفيد الطلب .

وهذه الطريقة متبعة في جل مدارس الوطن العربي في تدريس النحو و خاصة في المتوسط و الثانوي قديما و حديثا ، وهي الانتقال من الجزئي إلى الكلي ، فحينما يعرض المدرس لتلامذته أو طلابه أمثلة لتركيب لغوي يريدهم أن يتعلمون ثم يحملهم على تفحصها و ملاحظتها ملاحظة جيدة ثم مقارنتها فاستنباط القاعدة اللغوية ، و بهذا يكون قد توصل المعلم إلى الأحكام العامة أي القضايا الكلية و التي تسمى "القوانين العلمية أو الطبيعية"

ففي الاستقراء تفحص و تلاحظ الأمثلة أو النماذج و تقارن ثم تصاغ القاعدة أي أننا انتقلنا من الخاص إلى العام ، أي بمعنى آخر - من الأمثلة إلى القانون أو المبدأ أو التعريف

فالاستقرار من طرق التفكير الطبيعية التي يسلكها العقل البشري ، لذا تصلح للمراحل الأساسية ، لأن العقل ينتقل فيها من الخاص إلى العام ، أي من الجزئيات إلى القواعد العامة و من الجمل و الأمثلة إلى التعميمات ، وهو أسهل على التلميذ في المتوسط و الثانوي ، و تمتاز هذه الطريقة بأنها تثير تفكير الطلاب ، و تأخذ بأيديهم تدريجيا للوصول إلى الحقيقة ، و تنطلق من مفهوم ، أي من اللغة إلى الأحكام ، لأن اللغة أسبق من الأحكام و القواعد .

و يتبع المعلم في هذه الطريقة الخطوات المنطقية الخمس (27) :

أ - التمهيد . ب- عرض النماذج اللغوية (الأمثلة) مضبوطة بالشكل التام. ج- استقراء القاعدة (استنتاجها) . د- الربط و الموازنة. هـ- التطبيق .

2- طريقة القياس :

من الفعل (قيس) (قاس) و نقول : قاس الشيء بالشيء قدره على مثاله (28)

تعد هي الأخرى إحدى طرق التفكير التي يسلكها العقل في سبيل الوصول من المجهول إلى المعلوم ، وهي طريقة شائعة في كتب النحو العربي و الأوروبي القديمة ، إذ يقدم المعلم التعريف أو القاعدة أو القوانين الجاهزة و يعطي مثلا تطبيقيا ثم يحمل التلاميذ أو الطلاب على تقديم أمثلة ينطبق عليها التعريف أو القاعدة ، فهي عكس الطريقة الاستقرائية حيث يتم فيها - كما ذكرنا سابقا - عرض القاعدة أولا ثم ذكر الأمثلة أي التطبيقات للقاعدة أو التعريف و يكون المعلم بذلك قد اتبع الطريقة القياسية ، أي انتقل من العام إلى الخاص أو من الكلي إلى الجزئي .

وقد ألفت كتب في تدريس النحو (القواعد النحوية) وفق لهذه الطريقة ذاتها ، منها : "كتاب الجامع الدروس العربية" للشيخ مصطفى الغلاييني .

وكتاب "النحو الوافي" للدكتور عباس حسن ، وكتاب "القواعد الأساسية للغة العربية" السيد أحمد الهاشمي و غيرهم .

إلا أن هذه الطريقة تبدو صعبة على التلاميذ في المرحلة الابتدائية ، لأن تقاسم التعريف أو القاعدة على الأمثلة يكون بمنزلة تقديم الصعب على الأسهل ، فالاستقراء إذا الانتقال من الجزئيات إلى الكليات أسهل عليهم من القياس أي الانتقال من الكليات إلى الأجزاء ، أما في مرحلة المتوسط و الثانوي فلا مانع من أن تتبع طريقة القياس .

و الملاحظ أن المدرس الجيد لا يكون عبدا لطريقته ، فمن معلمي اللغة العربية من يدرس قواعد النحو على الطريقة الاستقرائية ، ومنهم من يدرسها على الطريقة القياسية و آخرون على طريقة أخرى تسمى بطريقة النص أو "الوحدة" أو الطريقة "التكاملية" وهي الطريقة المتبعة اليوم في مدارسنا المتوسطة و الثانوية... وقد يمزج المدرس بين طريقتين أو أكثر من هذه الطرائق ،علما بأن جل المدرسين يقولون بأفضلية الطريقة الاستقرائية و خاصة في المرحلة الابتدائية و المتوسطة (29) -خطوات الطريقة القياسية :

1- التمهيد. 2- عرض القاعدة أو التعريف. 3- تحليل القاعدة (شرحها). 4- التطبيق .

وهناك طرق عديدة ، استفادت و أفادت من معطيات العلوم الحديثة من جهة ، و الانفتاح على الدراسات الألسنية أو اللسانية من جهة أخرى ، أهمها : تدريس القواعد النحوية بأسلوب الدور التمثيلي و أسلوب توظيف المطالعة و أسلوب الرسوم البيانية و أسلوب المواقف التعليمية و أسلوب أمثلة العرض و أسلوب تجزئة القاعدة النحوية (30) . و لعل أبرز هذه الطرائق و أكثرها أولا في تدريس النحو حديثا - و خاصة في المتوسط و الثانوي . " طريقة النص " أو " الطريقة التكاملية " .

و يتم تدريسها من خلال النصوص الأدبية ، بحيث يختار المدرس نصا يقرأ و يحلل - (أو يكون النص قد قرر في الكتاب المقرر لتحليله و دراسته دراسة فكرية و لغوية ثم يختار معه درس قواعد النحو) كما هو معمول لدينا في مناهجنا الدراسية الحالية) و يكون النص شعرا أو نثرا ، إلى جانب تدريس القراءة ، و التعبير و المطالعة في مرحلة التعليم المتوسط و كذا الثانوي و يتبع في هذه الطريقة بعد قراءة النص و تحليله وهي الانطلاق من الكل إلى الجزء إذ يصبح النص ميدانا وظيفيا للنحو و الصرف و البلاغة و العروض و النقد .

أي (اللغة متمثلة بالنص) ، الكل (الأحكام المقصودة بالدرس) هي الجزء الانتقال من القاعدة أو التعريف إلى الأمثلة أي من الكليات إلى الجزئيات و تكون خطواتها كالتالي :

- تنطلق هذه الطريقة التكاملية أو طريقة النص أو الوحدة في تدريس النحو العربي ، من نصوص (دروس) القراءة في مرحلة التعليم المتوسط و من النصوص الأدبية في مرحلة التعليم الثانوي ، و بذلك يكون تحليل النص الأدبي (شعر أو نثر) طبعا بعد قراءته و فهمه فهما عميقا هو المنطلق الأساسي ، و تغدو الأحكام اللغوية منطلقا من الاستعمال . القاعدة تأخذ طريقها إلى الشرح و التفصيل نظرا لتكرار مظاهرها ، في النص ، و كثرة استعمالها تظهر الحاجة إلى دقائقها ، وضرورة الإلمام بها و سؤال التلاميذ و تعلمها يوحى للتلميذ بجزء من الطمأنينة حين تعيينه على التعبير السليم ، كما أن القراءة الصحيحة التي يكتسبها تساعد على فهم المقروء و المسموع . و هذا ما يعنيه علماء اللغة المحدثون بالانتقال من دراسة اللغة في نظامها الافتراضي إلى دراستها في تحليلها الطبيعي .

و هذه الطريقة تنظر إلى أحكام اللغة نظرة وظيفية تقوم على تنمية الكفاية أو الكفاءة التواصلية عند المتعلم و به تدرك الغاية ، و يزال من النفوس السأم المتمثل في عدم فهم الغاية من دراسة أحكام اللغة و قواعدها ، تقوم هذه الطريقة التكاملية على دراسة القاعدة المقصودة ، من خلال النص الأدبي المثبت أو المقرر في كتاب التلميذ أو الطالب يتم التوقف عند الظاهرة النحوية . بعد عبور مراحل دراسة النص المنهجية ، بداء بتقديم أو مدخل إلى النص وصولا إلى مراحل تحليله من فهم معطياته ، و مناقشتها ... و تفحص اتساقه و انسجام فقراته فيها يتوقف المدرس عند التركيب النحوي ،الصرفي القواعد الوظيفية و يعقد درسا للموضوع المطلوب .

ويتبع في الدرس الخطوات الآتية : (31)

1- تمهيد . 2- قراءة النص . 3- قراءة التلاميذ . 4- مناقشة معاني النص عن طريق طرح الأسئلة المتنوعة التي تتناول جوانب الموضوع . 5- استخراج الأمثلة . 6- إدراك القاعدة النحوية . 7- التقويم التكويني . 8- التوظيف و التطبيق .

وعلى الرغم من أهمية هذه الطريقة ، ومراعتها للأسس النفسية و التربوية و اللغوية إلا أن نقدا وجه إليها ، يتمثل في بعض القضايا منها (32)

- 1- لا تساعد على معالجة الأخطاء الفرعية الدقيقة .
 - 2- صعوبة توصل المعلمين إلى الفروق الفردية بين الطلاب الذين يعلمونهم .
 - 3- صعوبة إعداد الكتاب المدرسي المحيط بكل فروع اللغة العربية .
 - 4- يستلزم وجود قدرات و كفايات لدى المعلمين و المتعلمين .
 - 5- صعوبة وضع تمارين و تدريبات شفوية و كتابية الشكل في و سهل في الوقت نفسه .
- ومن الطرائق الأخرى طريقة المحاضرة و هي التي تتبع في الجامعات و هذه الطريقة سلبية يقعد المتعلمين عن الدرس ، و يدعو إلى عدم الانتباه ، و الولوج في أحلام اليقظة ... و يؤخذ على هذه الطريقة أنها لا تنمي التفكير وروح المناقشة عند الطلاب لعدم المشاركة الفعالة في الدرس النحوي و إنما الطلاب مستمعون و متفرجون بينما الدرس النحوي درس حيوي يحتاج نشاطا و تطبقا من قبل الطالب و المدرس كليهما فهذه الطريقة هناك من مدرسي اللغة العربية من يعدها غير صالحة تماما ما لم تطعم بالصور و الأفلام . و عروض من كتب اللغويين الأعلام و قراءات و استشهادات .
- وبالرغم من ذلك كله إلا أن هناك طرائق حديثة أخرى يراها أهل العلم ناجحة و مفيدة للطلاب ، وهي:
- أ- طريقة المناقشة الاجتماعية : و تستغل هذه الطريقة طرائق التدريس السابقة مثل الاستقراء و القياس ، أو طريقة النص (الوحدة) ، ولها حسنات من أهمها على سبيل المثال :
- تعزز التفكير العلمي ، و تعود الطالب على الدقة في التعبير و التحليل و الاستدلال و التقويم .
 - عن طريقها يكشف المعلم (المدرس) المواهب و القابليات في فروع اللغة لدى المتعلمين ، فيشجع المعلم أصحاب القدرات المتميزة إلى الظهور
 - عن طريق المناقشة الاجتماعية يتحسس المعلم جوانب الضعف و القوة في طلابه و تلامذته .
 - تكون هذه الطريقة الشجاعة الأدبية في الطالب فهو يسأل و يجيب ، و يتبارى مع زملائه .
- ب- الطريقة الاستكشافية و الاستطلاعية : و هي من الطرائق الحديثة في التدريس ، و من أهم مميزاتا أنها تنقل الطالب من مستقبل للمادة اللغوية (النحوية) من المعلم أو سائل له ، للحصول على معرفة لغوية إلى أن يصبح الطالب ، من خلال توجيه بسيط من المعلم ، إلى المتعلم بنفسه يتفحص الحقائق و يكشف القواعد .
- إن هذه الطريقة الحديثة وسيلة لممارسات عقلية فهذه الطريقة إذن تساعد الطلاب على مواجهة المشكلات و إيجاد حلول لها ... إن الهدف الأساسي للطريقة الاستكشافية هو أن نجعل الطالب يفكر بدلا من أن يكون مستقبلا للمعلومات من المعلم أو الكتاب ، إذن هذه الطريقة تنقله من الاعتماد على المعلم إلى الاعتماد على نفسه (33).
- و أخيرا إنه مهما تكن طريقة من الطرائق السابقة جذابة لك أيها المعلم ، ومهما تبدو مفيدة لك ، فإن أفضل طريقة هي تلك التي تترأى لك أنت بذاتك أنها تلائمك و تلائم طلابك بالأخص أو تستخلصها أنت بشخصك ، واختيارك و مراجعتك لها ... فذلك هو الأساس في نظرتك و لا يجب عليك أن تخضع نفسك لطريقة واحدة فقط و هذا قد يمنعك عن البحث و الاكتشاف العلمي الحديث ، يبعدك عن التفكير العلمي .
- الإحالات و الهوامش :

- 1- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ضياء الدين ابن الأثير ، تحق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة المصرية ، صيدا - بيروت 1990 ج1 ص31 .
- 2- "الكتاب" ، سيوييه ، تحق و شرح عبد السلام هارون القاهرة ، ط3 ، 1988 ، ج1 ، ص 13
- 3- "مجاز القرآن" ، أبو عبيدة " مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، ج1 ، ص13 .
- 4- "دلائل الإعجاز" ، الامام عبد القاهر الجرجاني ، بحث و تقديم علي أبوزقبة ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرعاية الجزائر 1991- ص94 .
- 5- المصدر نفسه ، ص244
- 6- المصدر نفسه ص121
- 7- "مبادئ اللسانيات" ، د- أحمد محمد قدور ، دار الفكر و دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط1 1996م ص214 ، 215 ، 216 .
- 8- الايضاح في علل النحو ، أبو القاسم الزجاجي ، تحق ، د/ مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ط4 ، 1982 ، ص91
- 9- "شذور الذهب" ، ابن هشام ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد : المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط10 ، 1965 ، ص33
- 10- "اللغة العربية و الوعي القومي" مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع الجمع العلمي العراقي ، معهد البحوث الدراسات العربية ، (ندوة) ، ط02 و بيروت ، جوان 1986 ، ص366 و 367 .
- 11- المرجع نفسه ص367 ، 368 .
- 12- "انحطاط اللغة العربية في العراق ، ابراهيم كمال ، (بحث) اللغة العربية و الوعي القومي ، ص367 . مرجع سابق .
- 13- "لغتنا و الحياة" ، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) دار المعارف ، مصر ، 1971 ، ص 196 . 197م
- 14- "أساليب مناهج و نماذج في تعليم اللغة العربية" ، د/ نهاد الموسي ، دار الشروق ، عمان ، ط1 ، 2003 ص187
- 15- "المقاسات" ، أبو حيان التوحيدي ، تحق ، حسن السندي ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط1 ، 1992 ، ص 169 . 170
- 16- "الحيوان" الجاحظ ، تحق ، و شرح ، عبد السلام محمد هارون ، مكتبة و مطبعة مصطفى الباي الحلبي ، مصر ، ط2 ، 1965 ، مج1 ص 36 37. 38.
- 17- سورة هود ، الآية :37
- 18- "التبيان في إعراب القرآن" ، العكبري ، دار الجيل ، بيروت ، ط2 ، 1987 ، ج2 ، ص 707 . 708
- 19- "مشكل إعراب القرآن" ، مكّي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق ، د/ حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 1984 ج2 ، ص 783 .
- 20- "المقتضب" المبرد ، تحق عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب بيروت ح1 ، ص 69
- 21- "المقدمة" ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط2 ، 1982 ص1082 .
- 22- المصدر نفسه ص 1021
- 23- "جرائمنا في تدريس عربيتنا علي جواد الطاهر" ، ص6
- 24- "مناهج اللغة العربية و سبل تطويرها" ، الفزاوي ، العراق ، 1979 ص 02
- 25- "مقدمة في التربية" ابراهيم ناصر ، ط3 ، عمان 1980 ص 57
- 26- "دروس في أصول التدريس" ساطع الحصري ، ط8 ، مطابع الغندور ، 1962 ، ج1 ، ص 51
- 27- "الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية" د/ عبد العليم ابراهيم ، دار المعارف ، مصر ط7 ، 1973 ، ص 219 - 229 .
- 28- "انظر مادة (ق ي س) في مختصر الصحاح" ، الامام الرازي ، ضبط و تخريج د. مصطفى ديب البغا ، دار الهدى للطباعة و النشر ، ط4 ، 1990 عين مليلة ، الجزائر ص 354
- 29- "الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية" د. عبد العليم ابراهيم ، مرجع سابق ص 221 ، و 222 .
- 30- "يراجع تفصيل ما ذكر في أساليب حديثة في تدريس قواعد اللغة العربية" د. طه علي الدليمي ، و د. كامل محمود الدليمي ، دار الشروق عمان . ط1 ، 2004 ص 123 ، 149 ، 161 ، 185 ، 207 ، 227 ، 235
- 31- "أساليب حديثة في تدريس قواعد اللغة العربية" د. كامل محمود الدليمي ، مرجع سابق ص116 ، 122 .
- 32- المرجع نفسه ص 115-116
- 33- "اتجاهات حديثة في تدريس العلوم" ، بغداد ، 1976 ص 68- 75 .